# حبٌّ وشيخٌ وطريق

بقلم: أحمد صلاح

لم تكن رؤانا كما ينبغي لها أن تكون، فلا ندري أَشَرٌّ أُرِيْدَ بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا!!

حقائقنا يخفيها كثير من العيوب وقليل من المميزات، ولسنا على شاكلة بعضنا.. ففينا من البعض، وبعضهم يظهر منا، لكننا -وإن تناسب القول لا نهائيات البدء- دائرة لا يعلم منتهاها إلا الله.

هذا ما كنت أحاول أن أستبين معناه في إحدى جلساتي الأنوية!!

كنت قليل التواصل بربي، ولكن -وعلى الرغم من ذلك- ما دعوته في يوم ورد لي دعوة! فقد كنت أجده في كل طريق لي.. حتى أخطائي وإن عظمت.. ولكني حينما عدت إليه في صلاتي ذات يوم بالدعاء أجابني بالقبول، وأوصلني إلى طريق كنت دعوته أن يُسلكني فيه ويربطني به لو كان فيه صلاح أمري ونور قلبي..

وقد كان..

فقد رأيت ربي في جليل خلقه: في أبي وطريقي وقدوتي.. في قلب تجسد بالنور، وروح ملئت بالعشق النبوي.. في سر من أسرار الوجود المزهر حبًّا ووداًّ وذكرًا... قابلته ولم أشأ أن أقابله، ففي رؤيتي الأولى كنت كما الباحث عن التحقق من كل شيء في كل شيء؛ تخوض بي المسالك منتهاها، دون أن أصل.. حتى صادفته في أول الطريق.

تعلمت العشق وأسراره، والفكر وأنواره، والذكر وأغواره... فغصت في باطن التربية لربي.. ووجدتني في طريقه بغير حول مني ولا قوة!!

كان شيخي وإمامي الشيخ أبو المواهب عظيم الشأن، لدرجة يخجل الكلام أن يخط سطرًا فيها! فلا تراجم تزخر معانيها لتفي هذا الكيان حقه.

في أول طريقي كان هو في جمع من الناس يمدح آل بيت النبي ويشدوا هيامًا وحبًّا، ومن حوله من الناس كذلك.. جلوس وكأنهم راقصون في فضاء المحبة والنشوة غير المرئية! لم أرها حقيقة في بادئ الأمر، ولكني شعرت بلفحتها الباردة، برودة الجنة لأهل النار.. طرقت الباب، ومع أول دقه جاء النداء بالإذن..

فلقد سمح الكريم بقبول الوافد الجديد من أبنائه ليشرب قلبه العشق النبوي.. أراد بي خيرًا.. أربع سنوات من حياتي كانت بمثابة عمري كله. فلقد كانت آخر أربع سنوات في حياته.. علمني فيها كيف ينشد الحب، فتدركه أوبة العاشق، وتتلقفه أوراق المستنير وتنشره آهات المُدّاح.. أربع سنوات أشربني فيها كأس الغرام بلا غَوْلٍ. وألحفني عباءة الوجد، فلم أر حرًّا فيها ولا زمهريرًا... تعلمت كل شيء فيها: أن الحب هو معنى كل عمل، وأن أول حب هو حب الله وحبيبه وآل بيت حبيبه.. فكل ما خلا الله باطل. ولا معنى لشيء دون نية طيبة.. فـ»كل الأعمال نَيّة إن لم تنضجها النِّيَّة.

رضي الله عن شيخي وحبيبي الذي لم يفارقني منذ تلك اللحظة!

الشيخ محمد أبو المواهب السعيد